

تابع المحور الثالث : ميادين الاستمولوجيا

(علاقة الاستمولوجيا بالعلوم الاخرى)

ثانيا. علاقة الاستمولوجيا بنظرية المعرفة

1 - تعريف نظرية المعرفة :

تعرف نظرية المعرفة بأنها > ذلك الفعل الذي نستطيع بواسطته أن نسيطر عقليا على موضوع معين بهدف اكتشاف خصائصه المتميزة < ، ولقد اختلف الفلاسفة و العلماء في تصوراتهم لفعل المعرفة ، فمنهم من يقول ويؤكد على أن اصل المعرفة > هو البناء العقلي للموضوع ذلك البناء الذي يزداد دقة وتحديدا بفضل تطور المفاهيم العلمية والمناهج عبر تاريخ العلم نفسه < ، فنجد أن هم الفلاسفة ينصرف الى مسائل عامة تتعلق بالمعرفة مثل كيفية قيامها والحصول عليها ، طبيعتها ، حدودها ، وسائلها ..

2 - علاقة الاستمولوجيا بنظرية المعرفة :

ماهي علاقة الاستمولوجيا - نظرية المعرفة العلمية - بنظرية المعرفة كمبحث من مباحث الفلسفة ، والتي تحدث عنها الفلاسفة منذ قديم الزمان ؟ هل هي علاقة تطابق ؟ أم علاقة نوع بجنس ؟ أم أنه لا توجد بينهما في نهاية الامر أي علاقة على الاطلاق ؟ وعلى هذا جاءت إجابة المفكرين لتعطي هذه البدائل الثلاثة :

أ - المدرسة الانجليزية : المناطقة الانجليز

هم الفلاسفة الناطقون بالغة الانجليزية و هم الفلاسفة الذين حاولوا التسوية في استخدام لفظ الاستمولوجيا وتعبير نظرية المعرفة ، ولم يقيموا أي تفرقة بين الميدانيين يقول كاتب مادة الاستمولوجيا في دائرة المعارف الفلسفية سنة 1967 ما يلي : > الاستمولوجيا أو نظرية المعرفة ؛ هي ذلك الفرع من فروع الفلسفة ، الذي ينصرف الى دراسة ، طبيعة المعرفة وحدودها ، ويهتم بتحديد الاسس و الفروض التي تستند إليها ويهدف الى ابراز القيمة التي يمكننا أن نصبغها عليها < .

وفي تعريف ثان لكاتب مادة الاستمولوجيا - دائرة المعارف البريطانية سنة 1961 - : > الى أن أغلبية اساتذة الفلسفة في مصر ، ساروا على نفس الطريق الذي اشتقه فلاسفة الانجليز ولم يفرقوا بين لفظي الاستمولوجيا ونظرية المعرفة < .

- جون بياجي ونظرية الاستمولوجيا الارتقائية :

اعتبر هذا الفريق الاستمولوجيا مصطلح مرادفا في الاستعمال لنظرية المعرفة ، وذلك لاعتبارات معينة منها :

- ان العلم سواء نظر اليه من خلال دوره في تقدم المجتمعات أو نظر اليه من خلال دوره في بناء الفرد و إنمائه ، فإنه يكتمل بشكل مطرد وبدون أن يصل أبدا إلى حد الكمال .

- أي نظرية في الاستمولوجيا الارتقائية لا بد أن تتحول في نهاية الأمر الى نظرية في المعرفة .

- أي نظرية في الاستمولوجيا الارتقائية تهدف الى استعراض جميع المراحل التي توصلنا من خلالها ، الى ما نعتبره اليوم معرفة علمية ، بمهني أنها تنظر الى المعرفة من خلال أشكالها السابقة على الشكل العلمي و لا نستطيع ان ننكر احتواء هذه الاشكال على قيمة معرفية معينة ، وإلا لما أدت الى التطور الذي انتهت اليه المعرفة مؤخرا .

ب - علاقة النوع بالجنس :

يعتقد هؤلاء الفلاسفة بتعدد صور المعرفة وأشكالها بأنه وبجوار المعرفة العلمية توجد معارف أخرى مصدرها :
- القلب (باسكال).

- الحدس (برقسون و هوسرل).

- الذوق (عامة المتصوفة).

ولهذا السبب فان المعرفة العلمية ليست عندهم إلا نوعا من جنس أعم هو المعرفة على العموم .

ج - المدرسة الفرنسية (الوضعيون المناطقية) :

يرفض هؤلاء أن تكون هناك أي علاقة بين الاستمولوجيا ونظرية المعرفة فعند هؤلاء يردون جنس المعرفة الى نوع واحد فقط هو المعرفة العلمية ، فعلى سبيل المثال ذهب كرناب : > أنه لا يعترف بأي نظرية في المعرفة لا تكون تحليلا منطقيا لقضايا العلم < وإلى مثل هذا ذهب كاتب مادة الاستمولوجيا في - دائرة المعارف العالمية الفرنسية - : > حينما رفض أن تكون هناك أي علاقة بين الاستمولوجيا و بين الفلسفة عموما < .

د - العلاقة بين الاستمولوجيا و نظرية المعرفة : (التركيب بين الاتجاهات الثلاثة)

من خلال الطرح السابق بين الاتجاهات الفكرية الثلاثة السابقة يمكن ما يلي :

- من خلال الاجابة الاولى و الثالثة يمكن ردهما الى اجابة واحدة وتفسير ذلك أن اصحاب الاجابة الاولى كما عبر عن ذلك جان بياجي يرون أنه لا فرق بين الاستمولوجيا ونظرية المعرفة ن لأن موضوع أي نظرية في المعرفة هو تحليل المعرفة العلمية في مرحلة ما من مراحل تطور العلم عبر التاريخ ، فكل نظرية في المعرفة هي بالضرورة نظرية في المعرفة العلمية ، ومعنى هذا ايضا ان اي نظرية فلسفية او ميتافيزيقية في المعرفة هي ايضا نظرية في المعرفة العلمية ، طالما كانت الفلسفة أو الميتافيزيقا هي الام التي أنجبت تاريخيا مختلف العلوم .

- أما الفارق بين أصحاب الاولى و الثالثة فيمكن في أن أصحاب هذه الاجابة الاخيرة(الوضعيون المناطقية) لا يعترفون بوجود معرفة أخرى غير المعرفة العلمية ، سواء في الحاضر أو في الماضي ففي الوقت الذي ينتقدون فيه ميتافيزيقا ارسطو على أساس أنها خالية من المعنى ، ينتقدون لنفس السبب أيضا كل الفلسفات الميتافيزيقية الحديثة و المعاصرة ، معنى هذا أنهم يرفضون أن يكون العلم ابن الميتافيزيقا .

ثالثا- علاقة الاستمولوجيا بفلسفة العلوم :

1 - تعريف فلسفة العلوم :

هي أحد فروع الفلسفة تهتم بالدراسة و البحث في الأسس الفلسفية و الافتراضات و المضامين الموجودة ضمن العلوم المختلفة ، و يتفق الباحثون أن مصطلح فلسفة العلوم يرتبط بالنزعة التجريبية التي يمثلها العالم فرانسيس بيكون و ديفيد هيوم و جون لوك ، التي اهتمت بالمعرفة العلمية التجريبية وإشكالية الاستقراء .

2 - علاقة الاستمولوجيا بفلسفة العلوم :

يمكن أن نوجز آراء المفكرين في هذا الصدد في اتجاهين أساسيين :

- **الاتجاه الاول :** يرى بأن الاستمولوجيا ما هي إلا فصل من فصول فلسفة العلوم أو طريقة خاصة من طرق الفلسفة في العلم .

- **الاتجاه الثاني :** يرى بعدم وجود أي علاقة بين الاستمولوجيا وفلسفة العلوم

أ - الاتجاه القائل بأن الاستمولوجيا هي طريقة من طرق المعرفة العلمية :

يمثل هذا الاتجاه مجموعة من المفكرين و على رأسهم أندريه لالاند الذي سبق و ان عرف الاستمولوجيا على أنها : < الدراسة النقدية لمبادئ العلوم ونتائجها ؛ يقصد تحديد أسسها المنطقية > و عليه يتفق لالاند مع **الوضعيين المناطقة** الذين اقتصرُوا في فهمهم للاستمولوجيا على أنها < التحليل المنطقي لقضايا العلم > فليست الاستمولوجيا وفق هذا المفهوم إلا جزء من فلسفة العلوم أو طريقة خاصة من طرق معالجتها ، وهذا الذي هو ما ذهب اليه كل من **فايجل وبرودويك** ، اللذان يميزان بين أربعة طرق مختلفة للاستمولوجيا في فلسفة العلوم هي :

- دراسة العلم في علاقته مع العالم و المجتمع .

- وضع العلم في مكانه من مجموعة القيم الانسانية .

- الدراسة التأملية التي تستمد من نتائج العلم .

- التحليل المنطقي للغة العلم .

ويؤكد المؤلفان بعد ذلك تمسكهما بالطريقة الاخيرة لأنها الطريقة التي تتلاءم مع ما يعنيه لفظ الاستمولوجيا .(1)

2 - الاتجاه القائل بعدم وجود أي علاقة بين الاستمولوجيا وفلسفة العلوم:

فمرد ذلك أن لا تختلط الاستمولوجيا بالمشكلات الفلسفية ولأنه لو صح القول أن هناك علاقة بين الاستمولوجيا و الفلسفة ، لصح بالتالي القول بأن كل الفلاسفة هم باحثون في الاستمولوجيا لأن لكل فلسفة مفهومها الخاص عن العلم ابتداء من فلسفة افلاطون حتى فلسفة الوضعيين المناطقة ، ويستشهد أصحاب هذا الرأي بالفلسفة الوضعية التي أسسها اوجست كونت ، تلك الفلسفة التي جعلت للعلم مكانا خاصا مميزا في نسق المعارف المختلفة واعتبرته الناطق بلسان الحقيقة في صورتها الوضعية الخالية من كل الابعاد الانطولوجية .

فلو كانت هناك علاقة بين الفلسفة و الاستمولوجيا لكان من حق الفلسفة الوضعية أن تزعم بأنها >> فلسفة العلم بدون منازع << ولقد بعث الوضعيون المناطقة دعوى المذهب الوضعي التقليدي ، فزعموا كل ما هو علمي لا بد أن يكون قابلا لأن يعبر عنه في لغة منطقية ، وبأن كل معرفة حقيقية لا بد أن يعبر عنها في نفس اللغة ؛ فهل يمكننا أن ندخل مثل هذه الدعوى الفلسفية عن العلم في اطار الاستمولوجيا ؟

ويجيب المفكرون الذين لا يرون أية علاقة بين الاستمولوجيا وفلسفة العلوم على هذا السؤال بالنفي ، حيث يوضح لنا جون بياجي أسباب هذا الرفض بقوله ، أن الاستمولوجيا تهتم مثلها مثل المنطق بتحليل المعارف ذات الطابع العلمي ، تلك المعارف التي تحتوي بحكم طبيعتها على مشكلات منطقية ونفسية ومنهجية لا علاقة لها اليوم بالفلسفة العامة ، ويؤكد بياجي بأن الاستمولوجيا ستقطع الصلة تماما في المستقبل بالتفكير التأملي الفردي وسينبع ميدان البحوث التكاملية .(1)

يقول الاستاذ روبر بلانشيه أن ما يميز الاستمولوجيا المعاصرة هو الانتقال التدريجي بمشكلاتها من أيدي الفلاسفة إلى أيدي العلماء المتخصصين ، انتقالا ليس مرده الى رغبة عابرة ولكن سببه تلك الازمات الاخيرة التي هزت العلوم من جذورها ، و ما تلى ذلك من ثورات علمية كان على العلوم نفسها أن تستوعبها ، ولقد نتج عن ذلك أن العلماء أنفسهم أعادوا النظر في مبادئ علومهم ، ووضعوا الاسس التي تقوم عليها موضع التساؤل ولكن هل معنى هذا أنه لا توجد علاقة بين الاستمولوجيا بوصفها تحليلا نقديا للمعرفة العلمية ، وبين الفلسفة بشكل عام ؟ إننا لا نعتقد في ذلك لسببين :

أ - السبب الأول : أن المشكلات الاستمولوجيا تنقسم كما سيرى القارئ في هذا الكتاب إلى نوعين :

- مشكلات عامة : مثل : تصنيف العلوم وتقسيمها إلى مجموعات معينة.

- مشكلات خاصة : بكل علم على حده مثل : مشكلات علم الرياضيات التي تتعلق بطبيعة الوجود الرياضي أو تلك المتعلقة بأسس الرياضيات .

وإذا كان العلماء المتخصصون هم أدرى الناس بمشكلات علومهم وأقدرهم على حلها ، فإن مشكلات الاستمولوجيا العامة تتطلب من الباحث فيها معرفة عامة وخلفية نظرية وتاريخية قد لا تتوفر إلا في الفيلسوف .

ب - السبب الثاني : أن مشكلات الاستمولوجيا الخاصة بكل علم على حده غالبا ما تتطلب هي الأخرى خلفية فلسفية عند العلماء أنفسهم ، و الدليل على ذلك انقسام علماء الرياضيات وهم بصدد مناقشاتهم لطبيعة الوجود الرياضي :

مثلا ؛ إلى واقعين (بولزانو ، فريجه ، رسل شاب ، وتشرش) وأسمين (هلم هولتن كواين ، قدمان) وهي نفس التسمية التي كانت تطلق على الفلاسفة الذين تعرضوا لمناقشة مشكلة وجود الكليات في العصور الوسطى .

وخلاصة القول أن بلانشيه يرى أننا إذا ما فرقنا بين الاستمولوجيا وفلسفة العلوم ، فمرد ذلك إلى درجة الاتساع فقط ، فليست الاستمولوجيا إلا جزء من فلسفة العلوم إنها ذلك الجزء الأكثر قربا بدون شك من العلم إلا أنها بروحها ومناهجها تمتد على مساحة متوسطة بين العلم و الفلسفة ، وتنتهي حدودها في ميدان العلم و الفلسفة على السواء